

دمية القصر

حدثني الأديب يعقوب قال : أنشدني سلمان بن خضر الطائفي لنفسه وكنيته أبو الفتح قد مر مجتازاً بنيسابور إلى مرو وقال : كان شاباً كثير البهجة فصيح اللهجة : .
كأنَّ الغمامَ لها عاشقٌ ... يُسائرُ هَوْدَجَها أينَ سارا .
وبالأرضِ منْ حُبِّها صُفْرَةٌ ... فما تنبتُ الأرضُ إلا بهارا .
وأنشدني أيضاً له قال : أنشدني لنفسه : .
بَرَزْتُ في غِلالةِ زَرْقاءِ ... لا زَوْرَدٍ يةٍ كَلونِ السماءِ .
فَتَبَيَّنْتُ في الغِلالةِ مِنْها ... قمرَ الصيفِ في ليالي الشتاءِ .
وأنشدني له أيضاً : .
لي حَبِيبٌ مِنَ الْوَرَى شَدِيدٌ هَوهُ ... بِهِ لالِ الدُّجَى وَقَدِ ظَلَمُوهُ .
ليسَ لي عَنهُ في سُلُوسِي وَجْهُ ... وَلَهُ في السُّلُوسِ عَذِّي وَجُوهُ .
قَمَرٌ كَلَّما كَتَمْتُ هَوَاهُ ... قالَ دَمَعِي : هذا المُرِيبُ خُذُوهُ .
أبو محمد علي بن الأزهر .

ابن عمرو بن حسان حياني الأديب يعقوب بن أحمد أيده الله بريحانة شعره وأرخی طولي منه في روضة مستأسدة الأعشاب مترنمة الذُّبَابِ . فمما سحر لُجْجِي من لُجْجِ كلامِهِ قوله : .
دِيارَهُمْ بِالرَّقْمَتَيْنِ سُقِيتِ ... سَحَاباً مِنَ الْوُشْمِيِّ ثُمَّ وُلِيتِ .
وما لَكَ في رِيِّ السَّحَائِبِ حَاجَةٌ ... وَقَدْ طالما من مُقْلَتِي رُويتِ .
وإن كانَ ماءُ الْعَيْنِ ليسَ بِنافعٍ ... فَحَسْبُكَ قَدْ أَبْلَيتِ ثُمَّ بَلَّيتِ .
وكم قد سبتني فيك من ذاتِ بَرْفُوعٍ ... بأَحْسَنِ عَيْنٍ لِلْمِهاةِ وَلِيتِ .
وَأَلَمِي عَلَيْهِ لُعْسَةً زَيْنَ حُسْنُها ... بأَبْيَضَ مَعسُولِ الرُّضابِ شَتَّيتِ .
أيا بأبي الغورانِ طَنَنْتِ فِيهما ... وَأَرْضُ مِنَ الْغَوَرَيْنِ كُنْتَ وَطَّيتِ .
وماءَ حَلَلْتَهُ وَإِنْ كانَ آجِناً ... وَرَوْضُ رَعَيْتِ الْعُشْبَ فِيهِ رُعَيْتِ .
قلت : ما أحسن ما جمع بين قوله رعيت العشب على الإخبار ورعيت . على الدُّعَاءِ ! .
!

فهما إذا سبرهما تقدير روضة وغدير : .
ورَكَبِ عَجالٍ مُدَلِّجِينَ تَرَوَّحُوا ... على كُلِّ مَوَّارٍ الْيَدَيْنِ هَرَبْتَ .
فقلتُ لهم : سِيرُوا ولا تَتَرَوَّحُوا ... فليس لنا وادي الغضا بِمَبيتِ .
فقالَتْ : وَلِمَ أَمْسَيْتَ تَطوِي بِلادَنَا ... فَقُلْتُ : أَمَرْتَنِي غَدَاةً نَهَيْتِ .

أراد أمرتني إلا أنه أشبع الكسرة فصارت باءً .

وقد كُنتِ لا تَرْضِينَ منهم بِمَا أرى ... منَ الضيمِ لي فاليومَ كيفَ رَضِيتِ .

وأَقْسَمْتَ ألاَّ تقبلي قولَ كاشِحٍ ... كَذوبٍ فَلَِمَ أَقْسَمْتَ ثُمَّ نَسِيتِ .

قلت كنايةً عن الحث بالنسيان عندي أقصى غاية من الإحسان وقد قيل : لم يكن أحد كنى عن تكذيب الحبيبة بأحسن من قول المتنبي : .

تَشْتَكِي ما اشْتَكَيْتُ من ألمِ الشَّوْهِ ... قِـلْ إِلَيْهَا والشَّوْقُ حَيْثُ الذُّحُولُ .

وله ضاية حمل بها كل ناطق بالضاد طاه في قدور الصَّاد وهي : .

سَقَّتِ السَّحَابُ قَبْلَ أَنْ تَتَقَوَّضَا ... خَيْمًا عَلَى الْخَابُورِ أَمْسَتْ رُفَّضَا .

فِيهِنَّ من أبناءِ جَوْثَةِ فِتْيَةٍ ... غُضُّبُ فَمَا يَرْضَوْنَ إِلَّا بِالرَّضَا .

من كلِّ أَرْوَعٍ . ما يقرُّ فُؤَادُهُ ... كَالْحَلَّةِ الذِّضْنُضِ لِمَا نَضَضَا .

ما يَفْتَنِي إِلَّا طِمْرًا مُلْجَمًا ... وَمُفَاضَةٌ زَعْفًا وَسَيْفًا مُنْتَضَى .

يَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغْنِي ... مَنَ بِالْعِرَاقِ مَصْرًا حَا وَمَعْرَضَا .

إِنِّي عَرَضْتُ عَنِ الْمُقَامِ بِأَرْضِكُمْ ... صَفَرَ الْيَدَيْنِ وَحُقَّ لِي أَنْ أَغْرَضَا .

بُعْدًا لِمَنْ يَرْضَى بَدَارَ مَذَلَّةٍ ... يُمْسِي بِهَا حَرَضًا وَيُصْبِحُ مُحَرَضَا .

وَإِذَا الْكَرِيمُ رَأَى الْهَوَانَ بِبَلَدَةٍ ... رَفَضَ الْهَوَانَ بِهَا وَرَاحَ مُرْكَضَا .

وَأَنَادِمُ الْجَبَّارَ لَا أَرْضَى بِهِ ... إِلَّا إِذَا كَانَ اللَّبَابُ الْمُرْتَضَى .

وَأَفُضُّ أَوْعِيَةَ الْمُدَامِ وَأَجْتَلِي ... أَلْوَانَهُنَّ مَذَّهَبًا وَمَفْضَضَا .

إِنَّ ضَاقَ مَسْرُوحٌ نَاقَتِي فِي بَلَدَةٍ ... فَرَمَامُهَا بِيَدِي وَمَا ضَاقَ الْفَضَا